الملحـق رقـم (١)

الرياض عبر أطوار التاريخ
وكيف أصبحت أجمل مدن العالم
في عهد أميرها العظيم



صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز، أمير الرياض.

اسم الرياض وموقعها

الريـاض فـي اللغـة:

الرياض، جمع روضة. وجاء في لسان العرب:

الروضة: الأرض ذات الخضرة، والبستان الحسن، والموضع يجتمع إليه الماء، يكثر نبته.

وقيل: الروضة قاع فيه جراثيم ورواب سهلة صغار، في سرار من الأرض، يستنقع فيها الماء، وأصغر الرياض مائة ذراع.

قال أبو منصور: رياض الصمان والحزن في البادية، أماكن مطمئنة مستوية، تستريض فيها ماء السماء، فتنبت ضروباً من العشب ولا يسرع إليها الهيج والذبول.. فإذا كانت الرياض في أعالي البراق والقفاف، فهي «السليقان» واحدها سلق.

وإذا كانت الوطاءات، فهي رياض، ورب روضة فيها حرجات من السدر البري.

الرياض في معجم البلدان:

لم يرد اسم الرياض في كتب التاريخ والجغرافية القديمة. وأما (معجم البلدان) لياقوت، فيذكر لنا أسماء أكثر من مائة روضة، بصيغة المفرد، مضافة إلى أسماء أو صفات تخصصها وتنقلها إلى العلمية.

وسمّى ياقوت منها، في إقليم اليمامة:

روضة الإشاءة، روضة البلاليق، روضة بلبول، روضة الجوالقية، روضة السخال، روضة الشقوق، روضة ابن صعفوق، روضة ضاحك، روضة غسل، روضة الفقي، روضة الفورة، روضة السلي وروضة القميعة.



كانت منطقة الرياض بحراً . . ثم أخذ البحر ينحسر عنها تدريجياً . . وتظهر اليابسة .



ثم انحسر البحر تماماً . . وظهرت الصحارى أو الواحات وكان يشرف عليها جبل طويق .



وفي عصر عريق في القدم كانت الرياض ، ومثلها جزيرة العرب كلها . . بساتين تموج بالخضرة والزهر والشجر المثمر .

أعجوبة تشاهد في أحضان الصخور . . وكأنها تنبت في صدرها ، وإن كانت جذورها تمتد في أعماق الأرض . . وهي (الحَلَمة) أو (الغبثة) .

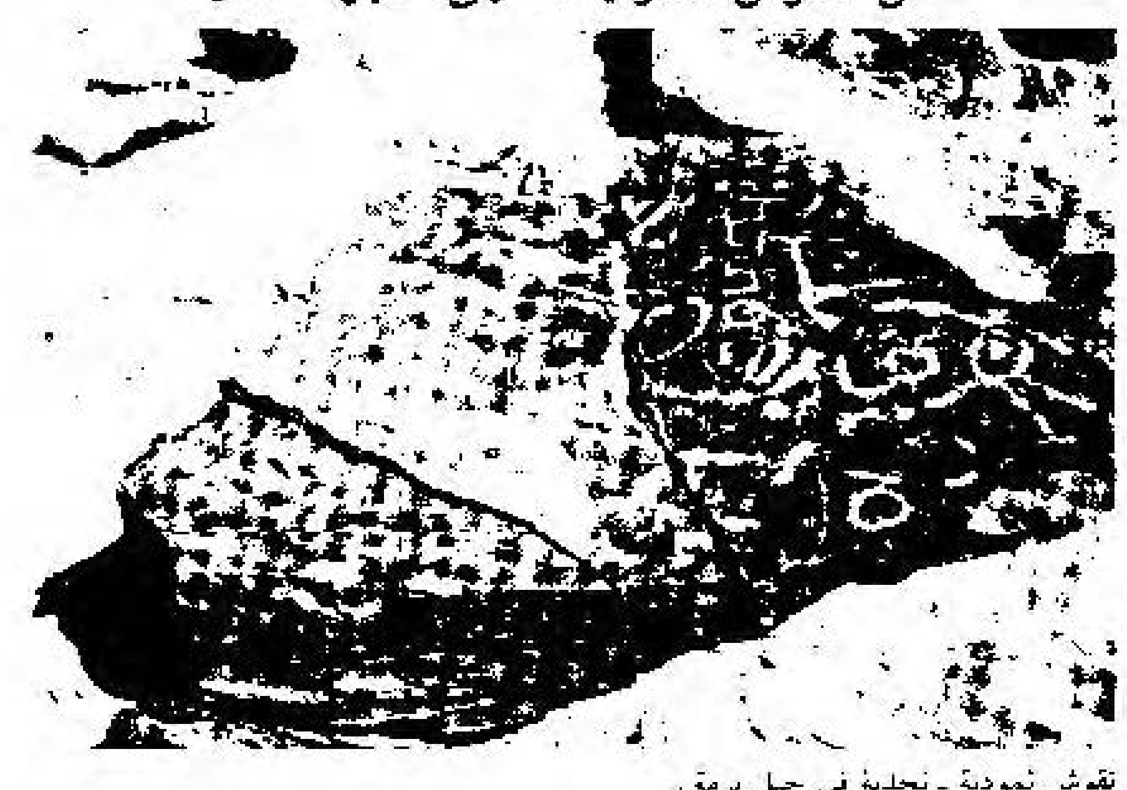


ومثل الحَلَمة ، أزاهير تعانق الصخور ، يسمونها في نجد «النقد» و «الربد» . . وفي الكتب تسمى «الربول» ! .

ومن الأزاهير التي تنبت في الوديان القريبة من الرياض وتتميز بألوانها الفاتنة . . أزهار يسمونها «الكحيل»!



زهرة ينفع منقوعها في علاج التهاب المفاصل ، ما أجملها ويسمونها «الشفلح» .



نقوش ثمودية ـ نجدية في جبل برمة .



نقوش ثمودية في جبل برمة تعود إلى القرن الرابع أو الخامس قبل الميلاد .

الملحق رقم (٢)

إحياء لذكرى الإمام تركي بن عبد الله

إعادة بناء قصر الحكم في موقعه الحالي وبجسوره التي كانت تربطه بالجامع الكبير

نشرت جريدة «الشرق الأوسط» دراسة إضافية عن الجهد الكبير الذي يبذل في إعادة بناء القسم التاريخي من مدينة الرياض على ما كان عليه، وهذا نصه:

في بادرة هي الأولى من نوعها يتم بناء (مدينة الرياض القديمة) على ما كانت عليه في القرن التاسع عشر الميلادي وأوائل القرن العشرين، وخاصة المواقع الأثرية التي شهدت أحداثاً تاريخية مهمة ترتبط بمؤسس الدولة السعودية الثالثة الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله، وسيعاد البناء على نفس المواقع وبنفس لون تربة الرياض.

وهذه البادرة تم الانتهاء من تنفيذ مرحلتها الأولى وهي مبنى الإمارة والأمانة والشرطة. وبدأ العمل الآن في تنفيذ المرحلة الثانية التي تتمثل في إعادة بناء قصر الحكم والمسجد الجامع الكبير وساحة العدل بالصفاء والأسواق.

من هنا كان قرار الإبقاء على الرياض القديمة بإعادة بنائها على أسس معمارية حديثة بنفس الطابع التقليدي للمدينة القديمة قراراً يوحي بأكثر من معنى بحيث يجسد الرياض في هذه الحقبة التاريخية لتبقى ماثلة في ذاكرة الأجيال، ولتظل شاهدة على عظمة قيادة وشعب رفع راية لا إله إلا الله وانتصر لعميق إيمانه رغم قلة إمكانياته.

تحفة حديثة بعبق الماضي:

بعد ثلاث سنوات من الآن وعند انتهاء المرحلة الثانية من تطوير منطقة قصر الحكم سيكون هناك بمشيئة الله لوحة معمارية رائعة أخذت من فنون التقنية الحديثة

بنفس مميزات الطراز المعماري القديم ذي اللون الطيني الذي تميزت به بيئة الرياض. . سيدخل الناس من بوابات «دراويز» الرياض القديمة المبنية على أجزاء من سورها التاريخي. . سيجدون قلب المدينة كما كان قبل قرن من الزمان: قصر الحكم الذي بناه الإمام تركي بن عبد الله ـ الجامع الكبير ـ والجسور التي تربط قصر الحكم بالجامع ـ مركز (المعيقلية) التجارية ـ الأسواق التجارية ثلاث ساحات رئيسية بين قصر الحكم وساحة العدل بالصفاة والمصمك بالإضافة إلى مباني الإمارة والأمانة والشرطة وأسواق «المقيبرة» و «أوشقير» و «السدرة» ومجمع المحاكم وسوق الصيارفة ومسجد الشيخ بدخنة. . هذه التحفة الحديثة والتي ستحمل عبق الماضي بدأ التفكير فيها عام ١٣٨٨ هـ، وصدر قرار عام ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م بإنشاء مكتب متخصص تابع للهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض للقيام بمهمة تطوير وتنفيذ مشروع تطوير منطقة قصر الحكم بتوجيه من الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض ورئيس الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض.

وسنتناول هذه الرموز التراثية لنعيد للذاكرة حركة التاريخ الذي سيكون مجسداً أمامنا كما كان في الواقع قبل ١٠٠ عام أو تزيد.

اسم على مسمى:

دلت الدراسات الأثرية والتاريخية على أن مدينة الرياض الحالية تقوم على مكان مدينة (حجر) القديمة، والتي كانت مركز اليمامة، والتي وصفها ابن بطوطة بأنها كانت مدينة كبيرة واسعة الأرجاء كثيرة المباني تحيط بها الحدائق والمزارع وتكثر بها المياه والعيون.

وقد قال الهمذاني في كتاب صفة جزيرة العرب «الخضراء خضراء حجر».

وقد جاءت في شعر وكتابات كثير من الشعراء والكتاب العرب منهم الأعشى وياقوت في «معجم البلدان»، والمهلهل ابن ربيعة الحارثي وجحدر العكلي، والمبرد في «الكامل» وكان الشاعر المشهور ابن عطية الخطفي يقيم في حجر وقد ذكرها كثيراً في شعره.

وقد وزعت هذه المدينة إلى أحياء يتصل بعضها ببعض ثم عادت هذه الأحياء وتجمعت وكونت مدينة الرياض الحالية وكانت إمارة مستقلة قبل قيام الدولة السعودية الأولى. وفي القرن الثاني عشر الهجري أطلق اسم الرياض على المحلات

القديمة من مدينة حجر وهي معكال ومقرن والسعود.

ويقول د. أديب فارس في رسالته للدكتوراه «الرياض وثبة ازدهار في الصحراء العربية»، استناداً على مرجع الشيخ حمد الجاسر «مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ»: ولقد حل اسم الرياض تدريجياً محل اسم «حجر» في القرن الثامن عشر الميلادي، وإن لفظة رياض تعني في الواقع مكاناً تمر فيه السواقي ويغطيه الاخضرار، ويقال إنه كان يوجد بالرياض ٣٠ عيناً أو مزرعة.

السّور والبوابات:

بعد قيام الدولة السعودية الأولى في الدرعية ومناصرتها للدعوة الإصلاحية الدينية التي دعا إليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب قامت الحرب بين دهام بن دواس أمير الرياض والدولة السعودية حيث كان دواس من أشد المعارضين لهذه الدعوة.

وقد أقام دواس إبان هذه الفترة (حوالي عام ١١١٦ هـ / ١٧٠٤ م) سوراً عظيماً حول تلك المحلات المتناثرة لا تزال آثاره باقية في بعض جهات المدينة، وبنى القصر الذي أصبح فيما بعد قصراً للإمارة والحكم حتى هدمه ابن الرشيد.

ويقول مؤلف معجم مدينة الرياض ـ خالد السليمان ـ يعرف باسم حامي دهام ابن دواس، والحامي من لفظة الحماية وهو سور منيع قوي سميك البناء والترابط. وعند استيلاء الملك عبد العزيز على الرياض مطلع هذا القرن الميلادي كان على السور بوابات (دراويز) من أشهرها بوابة الثميري ودخنة والمريقب والظهيرة.

وقد ظل هذا السور قائماً إلى أن أمر بهدمه الملك عبد العزيز آل سعود لكي تفتح المدينة بعد توسعها وتطورها خارج السور وذلك عام ١٣٦٩ هـ، وسوف يتم إقامة السور والبوابات في مواقعها السابقة الأصلية وبنمطها المعماري التقليدي فيما سيتم تحديد مسار السور على الأرض في المواقع التي يتعذر إعادة بنائه فيها.

توفي الإمام فيصل بن تركي سنة ١٢٨٢ هـ فخلفه ابنه البكر الإمام عبد الله . وأمر ببناء قصر له فخم ، عرف فيما بعد باسم «المصمك» أو «المسمك» . ولا يزال قائماً حتى اليوم ، وهو يعدّ من المباني الأثرية المحببة ؛ لأن المغفور له الملك عبد العزيز إنما تمّ له الاستيلاء على الرياض بعد أن قتل هو ورجاله ، أمير الرياض عجلان ، وكان يقيم في ذلك القصر! .

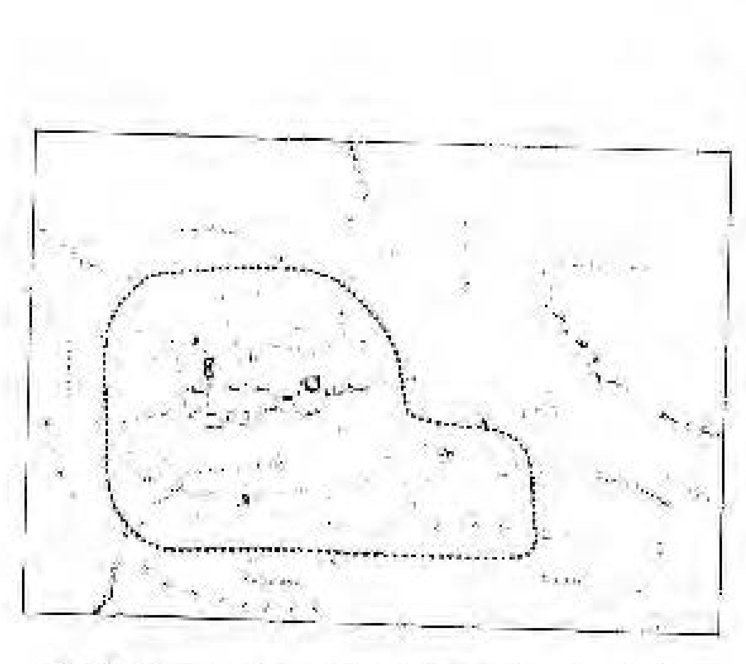
ثم كانت بين الإمام عبد الله وأخيه سعود خلافات انتهت إلى استيلاء ابن رشيد ، أمير حائل ، على الرياض ، واستمرار الفوضى والفتن مما أضر بالرياض كثيراً ، معنى ومادة .

مسجد في داخل قلعة المصمك





أحد أبواب المصمك





خريطة الرياض في عهد الإمام فيصل ، كما رسمها بلغريف .



نافذة أرضية يطلّ منها الحارس

«المصمك»

القصر الكبير المشهور في قلب مدينة الرياض قال كثير من المؤرخين إن الذي بناه هو الإمام عبد الله بن فيصل. قال بذلك إبراهيم بن عيسى في «عقد الدرر» وكذلك الدكتور منير العجلاني وإبراهيم بن خميس والشيخ حمد الجاسر والشيخ عبد الله بن خميس. ويقول «معجم مدينة الرياض» لمؤلفه خالد السليمان: لكن الصحيح الذي لا جدال فيه أن الذي بنى المصمك هو ابن نعام لأوامر محمد بن عبد الله بن رشيد. وقد شهد المصمك أروع ملحمة قتالية بارعة نفذها البطل المغوار الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن فاتحاً الرياض. وقد وصف الشيخ إبراهيم بن عبد الرحمن آل خميس المصمك قائلاً: هذه الدار الحصينة المحكمة الإغلاق من جميع جوانبها فلم يكن بجدرانها العالية لا نوافذ ولا شبابيك ولا فتحات اللهم إلا منافذ صغيرة تنفذ منها فوهات البنادق ومدخل واحد في جانبها الغربي وقد بقي المصمك بهيكله الطبيعي دون تغير أو تبدل[١].

وفي المشروع الجديد لقصر الحكم سيربط المصمك بساحة أمامه مرتبطة بساحة العدل وساحة الإمام محمد بن سعود، وترتبط هذه الساحات ببعضها ارتباطاً بصرياً وعضوياً بممرات مشجرة صممت بحيث تبرز السمات المميزة لكل ساحة.

وتمثل ساحة العدل الميدان الرئيسي للمدينة حيث يطل عليها المسجد الجامع وقصر الحكم وبعض المباني الحكومية والتجارية. وتتوسط هذه الساحة نافورة ضخمة مستطيلة الشكل، فيما ستقام ساحة الإمام محمد بن سعود في موقع سوق السدرة سابقاً، وستحتوي على ١٠٠ شجرة من أشجار السدر الكبيرة بالإضافة إلى

---

(١) لا نعرف سبباً مقبولاً للإصرار على الادعاء بأن باني المصمك هو ابن نعام.. وما الذي يمنع أن يكون ابن نعام قد جدد بناءه أو عدل فيه، ولماذا تكون روايته هي الصحيحة؟.

الأشجار والزهور والنوافير والمقاعدة المظللة وساحة المصمك مصممة بحيث تبرز مكانته التاريخية بها أشجار وأماكن للجلوس وستكون مكاناً لإقامة المناسبات الثقافية والاحتفالات والعروض الشعبية .

أسـواق لها تاريـخ :

كان بالرياض القديمة أسواق بلغت شهرتها الآفاق وكانت بالفعل مراكز تجارية مهمة . فهناك أسواق الديرة التي نفذت بالفعل وتحتوي على ٤٠٠ دكان على هيئة الأسواق الشعبية وبها قسم لسوق الخضار لإبقاء سوق المقيبرة للخضار كعنصر تتميز به المنطقة وجزء آخر للعطور التقليدية والنعال ، وقسم آخر يحتوي على دكاكين للصيارفة .

وهناك أسواق المعيقلية المطورة والثميري وستكون كل تصاميمها متمشية مع الطابع المعماري الذي ستكون عليه المنطقة والذي يحمل ملامح الرياض القديمة كما سيقام سوق أوشيقر ويقع غرب الجامع . وسمي السوق بهذا الاسم نسبة لأصحاب هذه المحلات وجميعهم من بلدة أوشيقر . وهناك أيضاً سوق الحاوية ويعود في تسميته لأهالي الأحساء الذين برعوا في خياطة وبيع الثياب . وسوق الجفرة وقيصرية البلدية وقد بنتها البلدية (الأمانة) عام ١٣٧٧ هـ لتكون مقراً لسوق الصرافة .

إن كل مباني الرياض القديمة ستعود بنفس لونها وطرازها المعماري في عصره الذهبي على أسس تقنية معمارية حديثة مما يعطي زخماً تاريخياً سيظل عبيره قائماً ما زالت هذه الصروح الحضارية قائمة بإذن الله تعالى .

إحصاء البلدان والقرى والبدو وعدد النفوس

المنطقة	عدد البلدان والقرى	عدد النفوس	عدد المجندين
العارض	١٥	١١٠٠٠٠	٦٠٠٠
اليمامة	٣٢	١٤٠٠٠٠	٤٥٠٠
الحريق	١٦	٤٥٠٠٠	٣٠٠٠
الأفلاج	١٢	١٠٠٠٠	١٢٠٠
وادي الدواسر	٥٠	١٠٠٠٠٠	٤٠٠٠
سليل		٣٠٠٠٠	١٤٠٠
الوشم	٢٠	٨٠٠٠٠	٤٠٠٠
سدير	٢٥	١٤٠٠٠	٥٢٠٠
القصيم	٦٠	٣٠٠٠٠٠	١١٠٠٠
الحساء	٥٠	١٦٠٠٠٠	٧٠٠٠
القطيف	٢٢	١٠٠٠٠٠٠	لا تعطي جنوداً

البــدو

القبيلة	العدد
العجمان	٦٠٠٠
بنو هاجر	٤٥٠٠
بنو خالد	٣٠٠٠
مطير	٦٠٠٠
عتيبة	١٢٠٠٠
دواسر	٥٠٠٠
سبيع	٣٠٠٠
قحطان	٦٠٠٠
حرب	١٤٠٠٠
عنزة	٣٠٠٠
آل مره	٤٠٠٠
جماعات متبعثرة	١٠٠٠٠
المجموع	**٧٦٥٠٠**

ملحوظـة: يقدر عدد الجنود بعُشْر السكان، ويقدر عدد سكان كل خيمة بخمسة أشخاص.

وفي كتاب تاريخ العرب الحديث لغرايبه كلمات عن ديرة كل من حرب وعتيبة وقحطان وهذا ما جاء فيه:

«حرب هي مجموعة قبلية أكثرها عدناني، تمتد ديرتها من جنوبي ينبع إلى القنفذة، على محاذاة الساحل، وتمتد شرقاً داخل نجد حتى تقترب من القصيم، لذا فإن بعض حرب يعتبر نجدياً.

أما عتيبة فأكثرها نجدي، وهي أكبر قبيلة عربية، بعد عنزة.

وتمتد ديرة عتيبة من سفوح جبال الحجاز الشرقية إلى الحرار، بين درب الحج إلى نجد وإلى ديرة قحطان وسبيع.

وتعتبر (قحطان) أقدم القبائل العربية وأكثرها محافظة على عاداتها.

وتمتد ديرتها ما بين نجران وعسير وجنوبي نجد، ولا يسكن أطراف الحجاز منها إلا القليل، إلا أنها لعبت دوراً رئيسياً في العلاقات الحجازية السعودية!

الرياض في عهد عبد العزيز



صاحب الجلالة المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود، مؤسس المملكة العربية السعودية

فتح الرياض في زمن الملك عبد العزيز

كان الانطلاقة المباركة إلى التحرير والتوحيد وإنشاء المملكة العربية السعودية . .

الرياض في عهد الملك عبد العزيز :

في سنة ١٣١٩ هـ ١٩٠٢ م استولى المغفور له الملك عبد العزيز على مدينة الرياض ، عاصمة آبائه وأجداده ، في مغامرة بطولية خارقة ، ما زال الناس يتحدثون عنها بإعجاب وإكبار .

وقد بقيت الرياض على حالها ، في أوائل عهد الملك البطل ، لأنه كان منصرفاً إلى تحرير البلاد ، في نجد وما وراء نجد .

وكان أول عمل قام به : إعادة بناء سور المدينة ، الذي هدمه ابن رشيد .

ويقول فيلبي : إن سور الرياض كانت له تسعة أبواب ، تؤدي إلى البساتين المجاورة وإلى الخارج ، وأهمها : بوابات الثميري ، والظهيري ، ودخنة ، والمريقيب ، والشميسي ، والبديعة .

وكان السور مصنوعاً من الطين ، وكان حجمه سميكاً ، ويبلغ ارتفاعه قرابة خمسين قدماً ، وعلى السور أبراج أعدّت لحماية البلدة من الغزوات والغارات .

ويقول حافظ وهبه ، في كتابه «جزيرة العرب» :

عمرت الرياض وكثرت مبانيها وسكانها في أيام الإمام فيصل ، جد الملك عبد العزيز ، ثم أهمل أمرها ، بعد جلاء سعود عنها .

وقد استردت الرياض مكانتها واشتهر أمرها وأصبحت كعبة العرب ومقصد الوافدين من جميع أنحاء العربية ، بعد أن ساد الملك عبد العزيز نجداً كلها وقضى على منافسيه فيها .

. . . وكانت أكثر مباني الرياض من الطين أو «اللبن» وهي قليلة النوافذ على

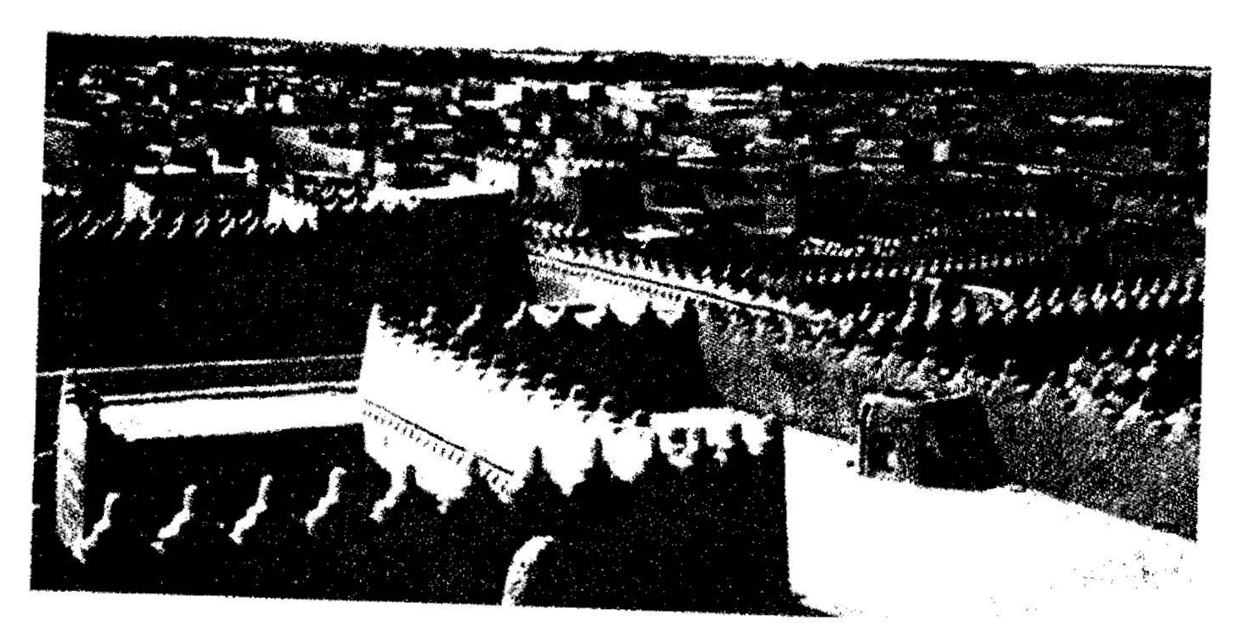
الطريق العام، فإن ذلك معدود من العيوب في البلاد العربية.

وكان قصر الملك ومنازل العائلة الحاكمة يشغل قسماً عظيماً من المساحة، وهي تشبه في بنائها قصور القرون الوسطى من جهة السعة وإقامة الأبراج عليها.

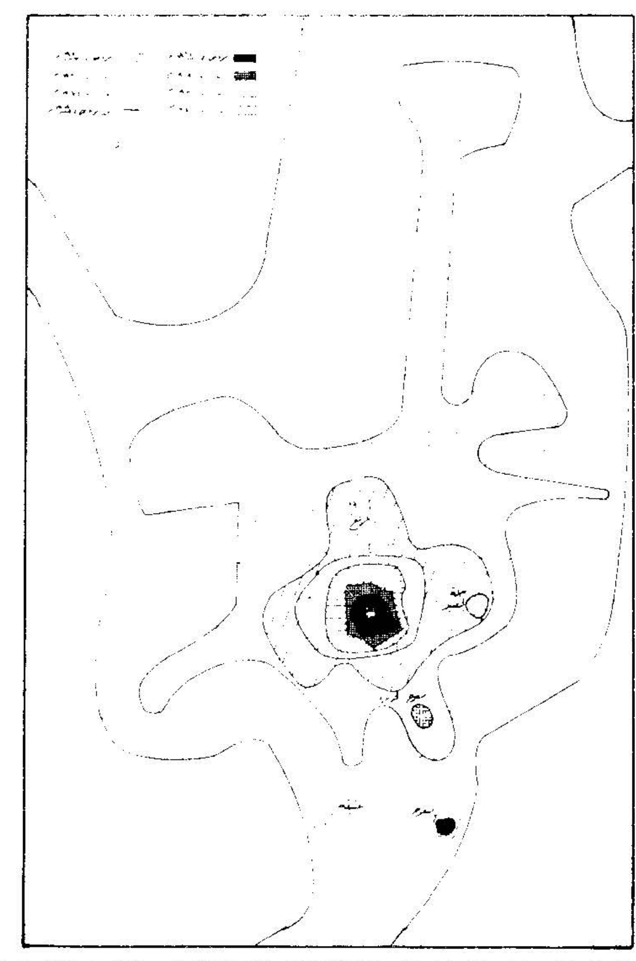
وبعد ضم الحجاز وإعلان إنشاء «المملكة العربية السعودية»، بدأ البناء خارج السور القديم، وكان قصر «المربع»، الذي بناه الملك عبد العزيز وانتقل إليه، انطلاقة العمران والتوسع.

ويقول المرحوم خير الدين الزركلي:

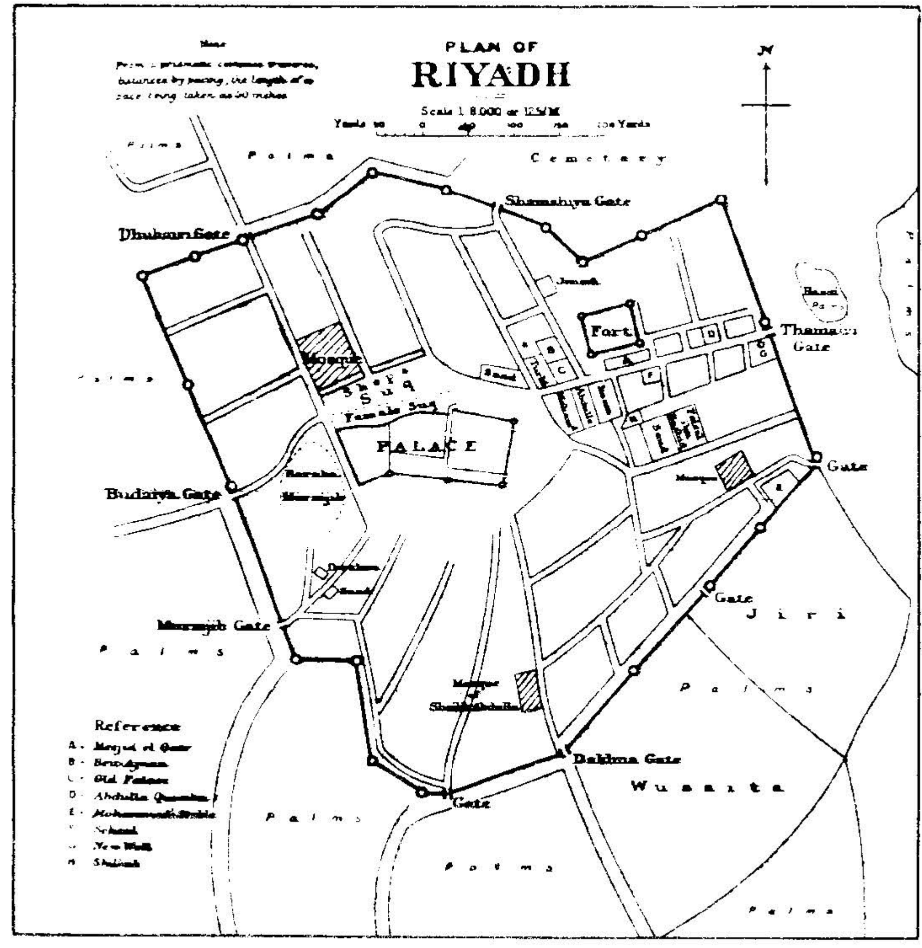
كانت الرياض.. مبنية بالآجر النيء والطين، وذهب عصر اللبن والطين، وقام العمران الحديث على دعائم الحديد والصخر والإسمنت، فبدأت تظهر في الرياض، بأواخر عهد عبد العزيز، تباشير القصور والدور، وأخذت الرياض الجديدة، في مباعدة ما بينها وبين طرازها المعماري السالف، إلا ما هو مألوف في أكثر البلاد الإسلامية من إقامة الجدران حول المنازل.. وتزين مبانيها حدائق أحسن تنسيقها وفي بعضها أحواض للسباحة وملاعب للرياضة.



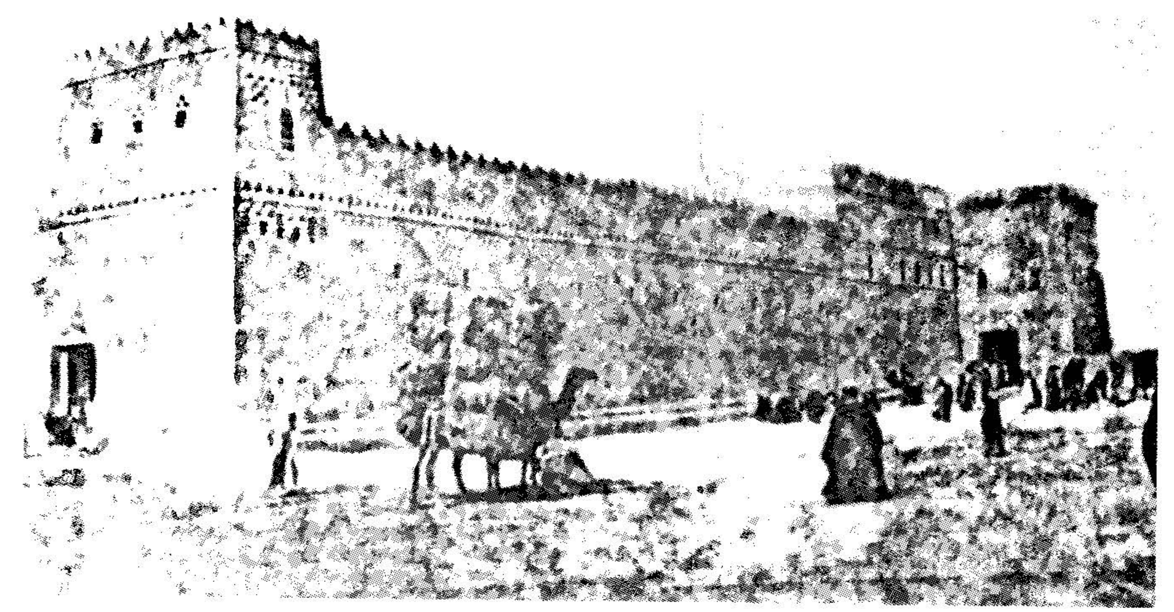
منظر الرياض عام ١٩٥٠ م

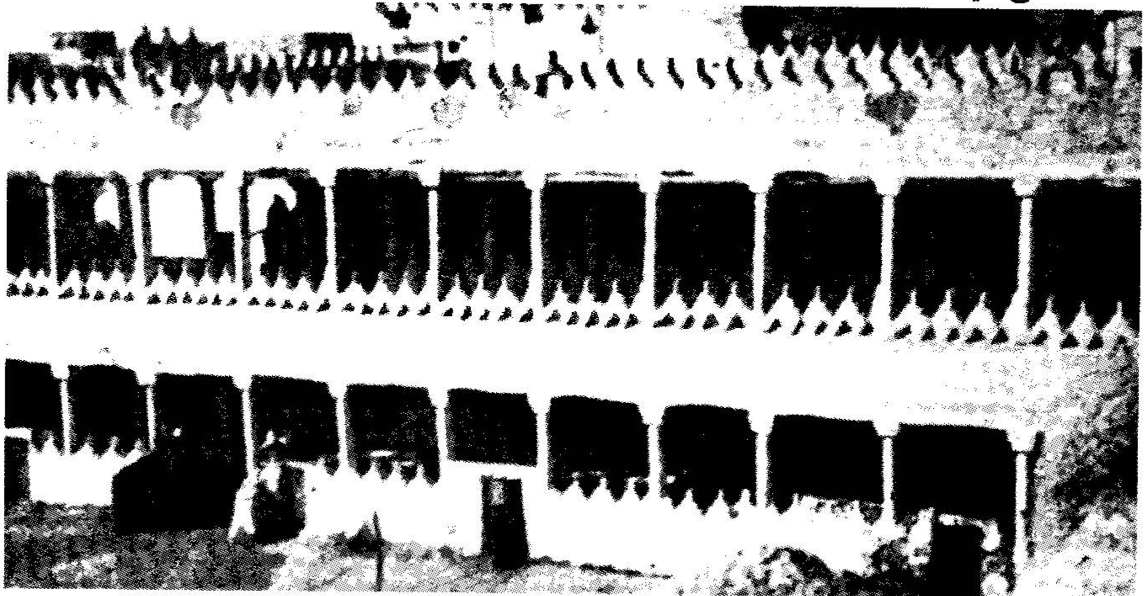


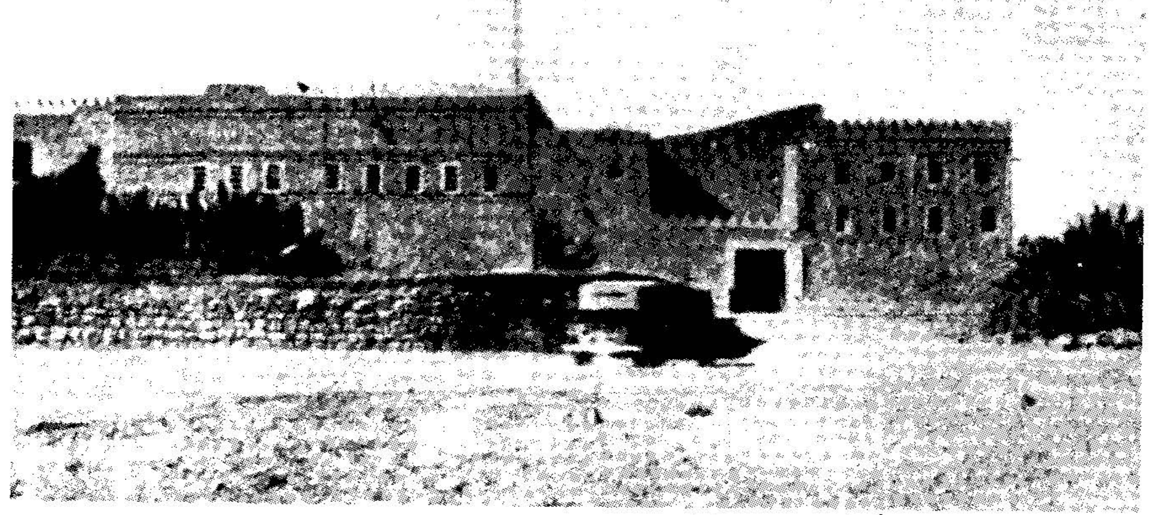
خريطة مأخوذة من كتاب «جغرافية مدينة الرياض» ترينا: في البقعة السوداء الدائرية حجم مدينة الرياض سنة ١٨٦٢ م في أواخر عهد الإمام فيصل بن تركي، وكم كانت صغيرة... وكيف توسعت، ابتداء من عهد الملك عبد العزيز، بعد اختراقها السور، ليصبح شكلها «عرضانياً» «طولياً».. بعد أن كان أقرب إلى التربيع.. وكم كبرت؟ ومن يدري أين تقف؟

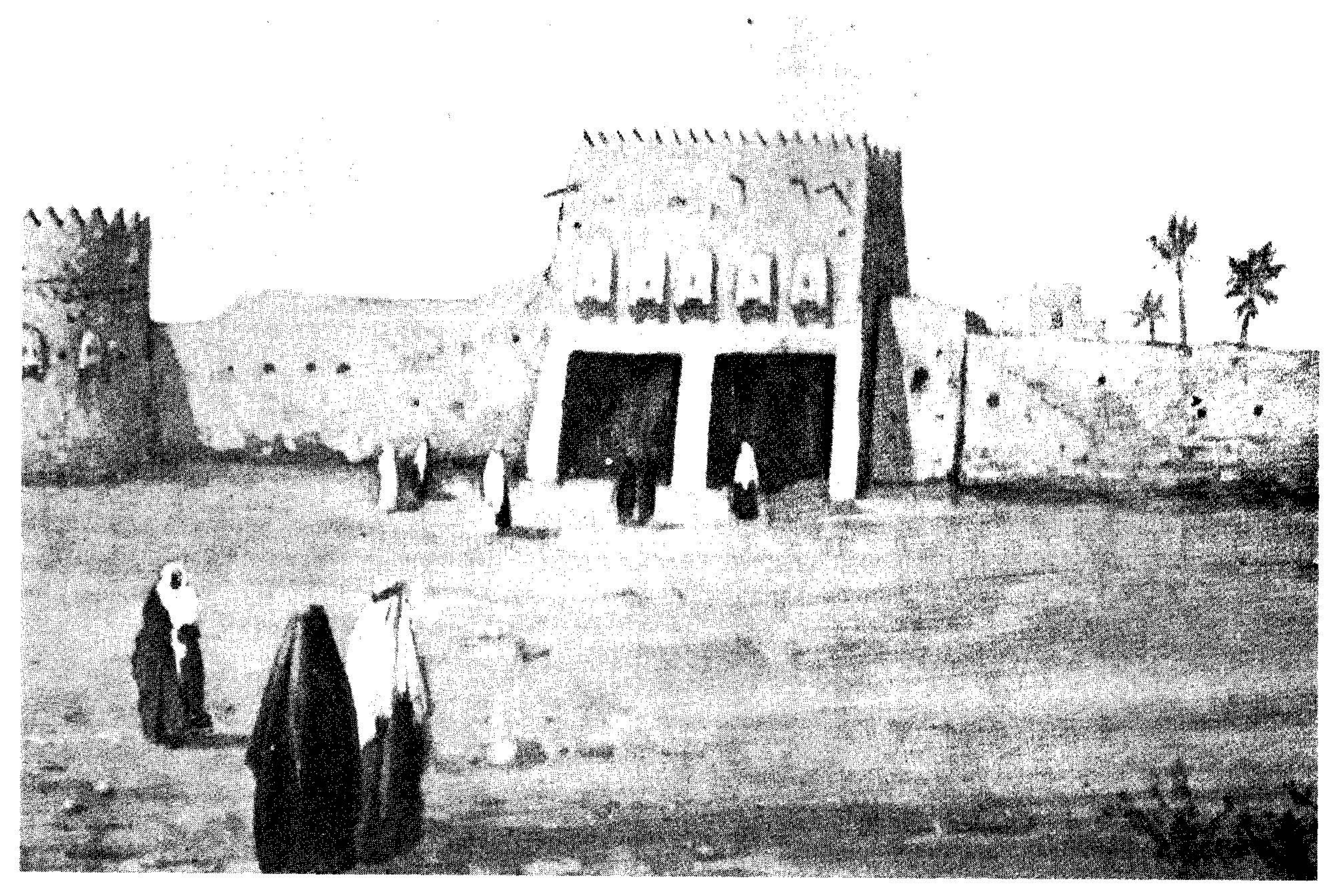


خريطة الرياض في أوائل عهد الملك عبد العزيز كما رسمها فيلبي سنة ١٩٢٢ هـ


قصر المربع في الرياض


جانب من قصر المربع في الداخل


قصر البديعة، صورة أخذت سنة ١٩٣٥ م



أحد أبواب مدينة الرياض في أوائل عهد الملك عبد العزيز

قصر الحكم

يقول الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض: قصر الحكم كان المقر الذي سكنه الملك عبد العزيز رحمه الله، وسيظل محتفظاً بدوره السياسي الأساسي كمقر للحكم حيث بدأت منه الدولة السعودية الثانية بقيادة الإمام تركي بن عبد الله.

وسيتم إعادة بناء هذا القصر في نفس موقعه وبجسوره التي كانت تربطه بالجامع الكبير على مساحة ١١٣٥٠ متراً مربعاً وسيتكون من ثلاثة أدوار. . الأرضي يشتمل على مكاتب وقاعات وصالات للطعام للاستعمال في المناسبات الرسمية. والدور الأول سيكون به مكتب للملك لاستقبال المواطنين في المناسبات ومكتب لأمير منطقة الرياض ومجلس الأمير وجناح خاص ومختصر وقاعة اجتماعات ومكتب لنائب أمير منطقة الرياض وصالا ت اجتماعات ومحاضرات.

ويعود تأسيس قصر الحكم للإمام تركي بن عبد الله مؤسس الدولة السعودية الثانية والجد الثاني للملك عبد العزيز آل سعود. وقد سكن الإمام تركي القصر طيلة فترة حكمه إلى أن توفي عام ١٢٤٩ هـ، وسكنه بعده الإمام فيصل بن تركي حتى وفاته عام ١٢٨٢ هـ، ثم حدثت أحداث يحفظها التاريخ إلى أن قيض الله النجاح لمؤسس الدولة السعودية الثالثة الملك عبد العزيز استرجاع الرياض وملك آبائه في ٥ شوال عام ١٣١٩ هـ/١٩٠٢ م. وبعد أن استقر الوضع سكن قصر الحكم بعد أن أصلح فيه - رحمه الله - ما يجب إصلاحه. ثم بدأ في زيادة بنائه على فترات حتى صار قصراً كبيراً وواسعاً، وبنى حوله قصوراً كثيرة لعائلته، وبنى قصراً كبيراً أمام قصر الحكم في الشمال بالإضافة إلى قربه من القصر الذي كان الإمام يحكم فيه.

وقد أصبح هذا الجامع من أكبر وأهم المساجد بالرياض. وكان يغص بحلقات الذكر والعلم ليل نهار، وكان يمتلىء بالمصلين في أيام الجمع والمناسبات. وقد عين الإمام عبد الله بن فيصل الشيخ محمد بن إبراهيم بن محمود - وهو من مشاهير

علماء نجد ـ إماماً للناس في الجامع الكبير . وبعد أن تولى الملك عبد العزيز الحكم اهتم بشؤون الجامع .

ويذكر أن الملك عبد العزيز عرض ولاية المسلمين على والده الإمام عبد الرحمن لكنه رفضها بعد أن جمع العلماء والوجهاء وعامة الناس في الجامع الكبير وأعلن رحمه الله أنه بايع ابنه عبد العزيز إماماً على نجد على كتاب الله وسنة رسوله . ومن هنا أصبح للجامع أهمية كبرى فكان ملتقى جميع أفراد الأمة لأداء صلاة الجمعة والالتقاء بالإمام والتشاور معه . ومن أشهر المؤذنين بالجامع الشيخ سلطان بن فهد ابن سلطان والشيخ ابن ماجد . وتولى الإمامة فيه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف والشيخ عمر بن عبد اللطيف ، ثم الشيخ سعد بن عتيق والشيخ إبراهيم بن سليمان المبارك ، والشيخ محمد بن إبراهيم .

ولما تولى الملك سعود الحكم أمر ـ رحمه الله ـ بتوسعته ، وكذلك تمت التوسعة الثانية للمسجد في عهد الملك خالد رحمه الله . ويؤم الناس في هذا المسجد حتى قبل هدمه أخيراً الشيخ عبد العزيز بن باز .

حركة العمران.. مستمرة

يقول الدكتور عبد الرحمن الشريف في كتابه: «جغرافية مدينة الرياض»:

استمرت حركة امتداد العمران بقوة. . وامتازت هذه الفترة بالتوسع خارج الأسوار. .

وأول ما بُني خارج الأسوار: قصر المربع، وهو مستطيل الشكل تبلغ أبعاد أسواره (٤٠٠,٣٠٠ م) وقد أحيط القصر بأبراج مربعة الشكل، اتخذه الملك في البداية مقراً لسكناه سنة ١٩٣٨ م، ثم أصبح فيما بعد مقراً للحكم.

. . وفي هذه الفترة بنى مماليك عبد العزيز محلة خاصة بهم على ضفاف وادي البطحاء عرفت باسم «حلة العبيد».

وظهرت منطقة سكنية منعزلة إلى الغرب من طريق الحجاز سميت باسم «العتيقة».

. . وتمت إزالة الأسوار في عام ١٩٥٠ م، وبدأت المرحلة الثالثة والأخيرة من تطور مدينة الرياض.

ولم يقتصر التطور. . على التوسع والامتداد، بل شمل تغيير طراز البناء ومواده. . وحلت مشكلة الماء، ونقلت الوزارات ورئاسة الدوائر الحكومية من مدينة جدة إلى الرياض، وأنشئت طرق مواصلات حديثة.

. . وقد رافق ذلك، أو مهد له، إصدار الملك عبد العزيز أمره بشراء مولدات كهرباء ضخمة من أمريكا، فهو، رحمه الله وطيب ثراه، أول من أدخل الكهرباء إلى مدينة الرياض وكان ذلك في سنة ١٩٤٨ م.

سكـة الحديـد:

وفي عام ١٩٥٠ م، افتتح جلالته مشروع السكة الحديدية التي تسير بين الرياض والدمام، مجتازة في طريقها الطويل الذي يزيد على خمسمائة كيلومتر بقرى وبلدان كثيرة، منها: الخرج والهفوف.

ولم يقدر لهذه السكة كبير نجاح، ولا عمَّ استعمالها في المملكة وإنما أصبحت وسائل النقل والانتقال الأثير: الطائرات والسيارات.

موقع الرياض ومناخها

تقع الرياض على خط عرض ٢٤,٣٨ وخط طول ٤٦,٤٣.

فهي متوسطة بين مناطق المملكة وبين بلاد الجزيرة العربية .

مناخ الريـاض :

الرياض بعيدة عن البحار ولا توجد فيها بحيرات ولا أنهار . .

وتحيط بها مساحات رملية واسعة ، وارتفاعها قليل ما بين ٥٠٠ م و ٩٠٠ م يؤدي إلى ظهور فوارق محلية في صفات الطقس (بين حي وحي) ولكنها في النتيجة لا يؤبه لها .

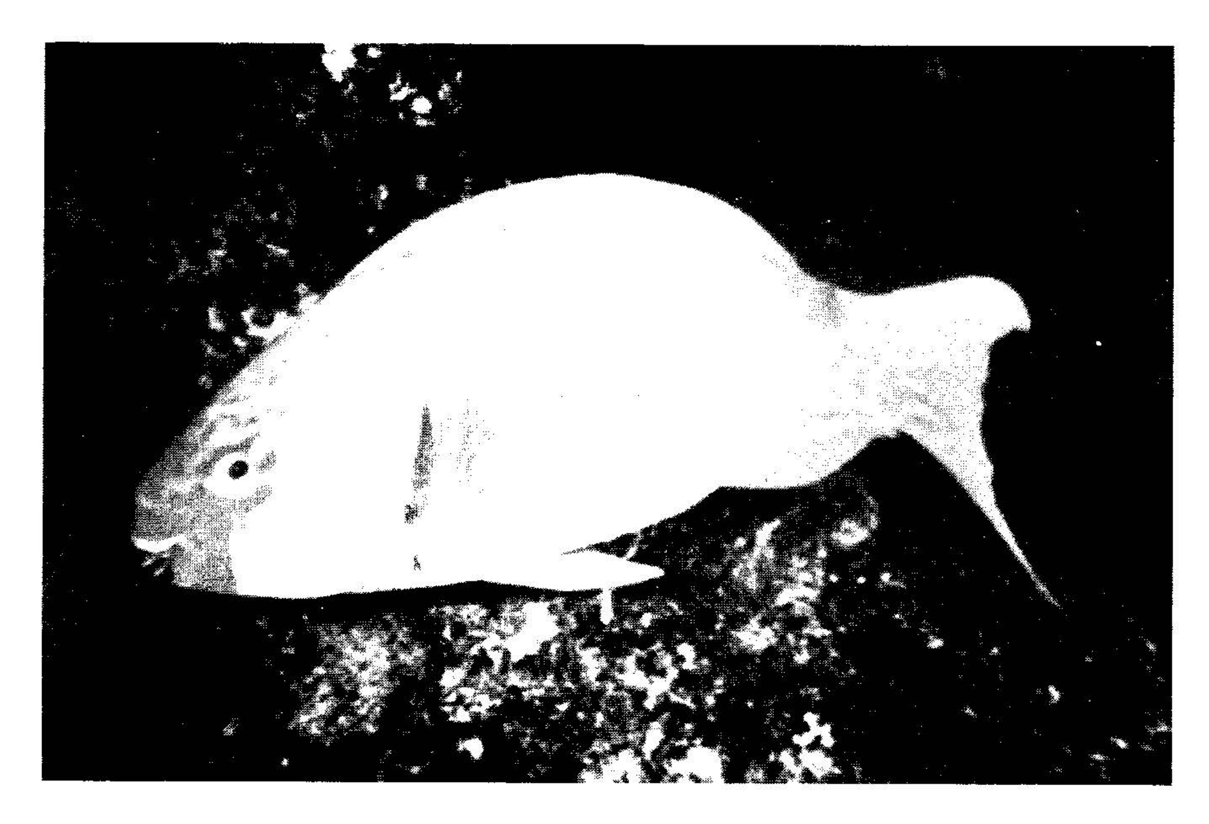
شهر يناير أقل أشهر السنة حراً ، معدل حرارته (١٤) درجة ، وأدناها درجتان .

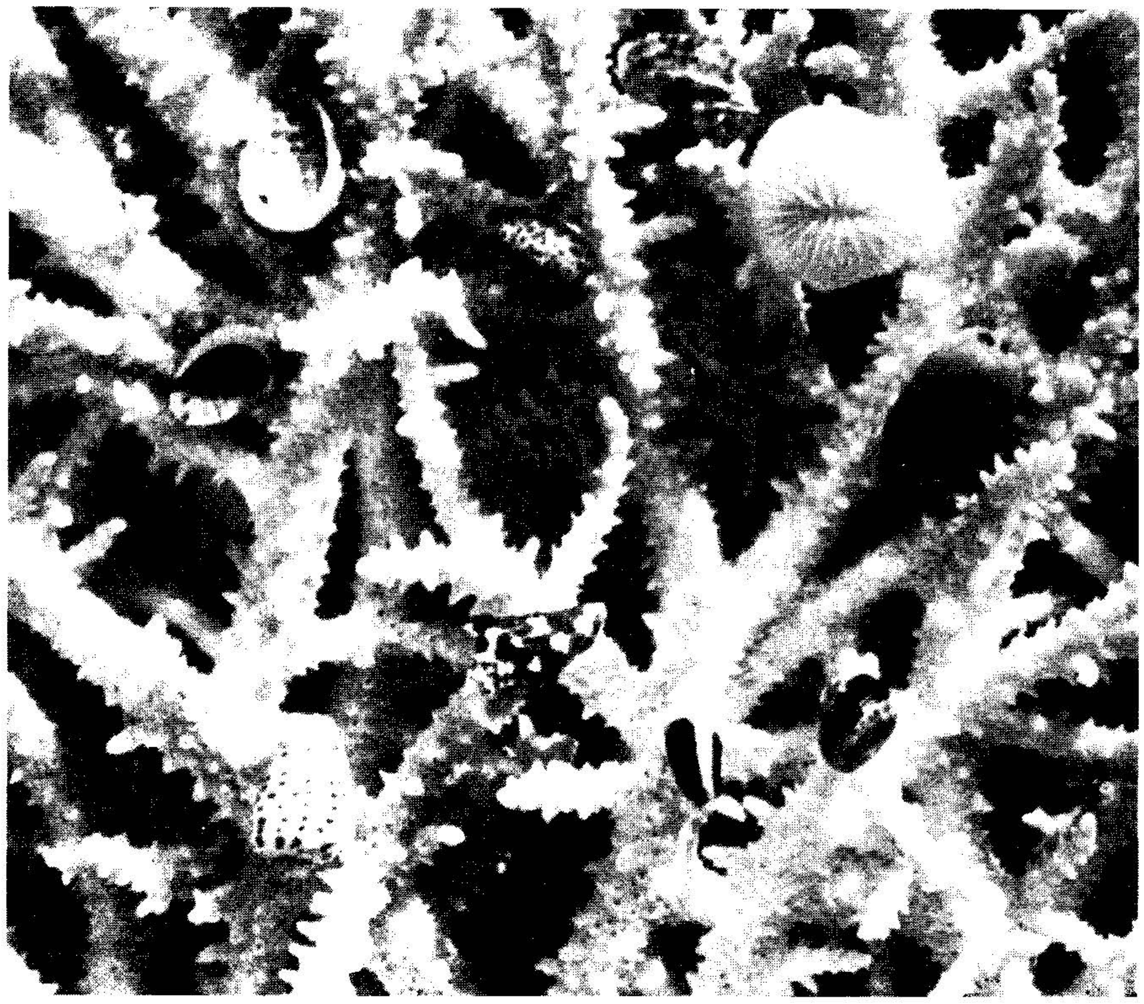
الفصل الذي يحتمل فيه سقوط المطر يبدأ بنوفمبر وينتهي بمايو ، ونيسان أكثر الأشهر مطراً .

والأمطار تنزل بما مجموعه (٣٥) يوماً في الحد الأقصى خلال السنة وأكثرها يسقط في المساء .

النفـط والعمـران :

يمكن القول إن تسع الرياض كان مرهوناً ، إلى حد كبير ، بنمو مصادر الثروة وزيادة ميزانية الحكومة ومواردها من الثروة البترولية ، وكان ابتداء ذلك في آخر عهد الملك عبد العزيز .





لمّا انحسر البحر . . غاصت حيتانه وأسماكه وأصدافه وكل ما فيه من مخلوقات وعجائب في أعماق الصحارى . . وتحولت خلال أزمان طويلة إلى هذه «المواد» التي تصنع النفط! . .

عدد سكـان الريـاض:

يقدّر عدد سكان الرياض (المدينة) بأكثر من مليون نسمة، وهي اليوم أكبر مدن المملكة وأكثرها سكاناً، وكانت مكة وجدة تأتيان قبلها، فتجاوزتهما . .

كان عدد سكان الرياض سنة ١٨٦٢ م، كما قدّرهم الرحالة بلغريف، ثمانية آلاف فقط . .

وفي عام ١٩١٩ قدرهم جون فيلبي بتسعة عشر ألف ساكن.

وفي عام ١٩٤٥ قدرهم توتشل بستين ألفاً.

وفي عام ١٩٦٢ جرى إحصاء لسكان الرياض أظهر أن عددهم بلغ (١٧٠) ألفاً.

وفي عام ١٩٦٨ قدرتهم مؤسسة دوكسيادس بـ (٣٠٠) ألف.

وفي عام ١٩٧٦ قدرهم الأستاذ بندقجي، في كتابه: (جغرافية المملكة العربية السعودية) بما يقرب من ٧٠٠ ألف نسمة، وقدر سكان جدة بأكثر من نصف مليون، وسكان مكة بما لا يقل عن ٤٠٠ ألف.

. . والإحصاء الجديد المستمر لعدد السكان في المملكة سيعطينا التقدير الصحيح، متى أُعلنت نتائجه.



الرياض القديمة والرياض الحديثة

الرياض عبر أطوار التاريخ

وبقيتها اليوم تدعى: شارع الملك فيصل!

يقول الأديب والمؤرخ المحقق الأستاذ حمد الجاسر في كتابه: (مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ):

إن اسم الرياض أطلق في القرن الثاني عشر على «باقي المحلات القديمة من مدينة حجر: معكال ومقرن والعود وغيرها وما حولها من الأرض الواسعة التي كانت في القديم بساتين وحدائق تتخلل مدينة حجر وتطيف بها فغمرت ثم صارت مجمعاً للسيول أبان نزول الأمطار، تجود بمختلف النباتات زمن الربيع، ولذا صارت تدعى الرياض.

.. وقد أدار دهام بن دواس على تلك المحلات المتناثرة سوراً لا تزال آثاره باقية في بعض جهات المدينة.. وكان بناء الحصون وتشييد القصور والسور حوالي سنة ١١٦٠ هـ».

ويرى الجاسر أن مدينة حجر ضعف أمرها ابتداءً من القرن الثالث الهجري، وأنها أصبحت في القرن العاشر الهجري قرى متفرقة منها قرن، معكال، العود، البنية، الصليعا، جبرة، الخراب، وكلها كانت قديماً من محلات مدينة حجر، يتصل بعضها ببعض، ثم اختفى اسم حجر، وظهرت أسماء تلك المحلات مكانه.

ولم يذكر الجاسر مصادره.

ومما قاله أيضاً: «بقي اسم حجر معروفاً إلى منتصف قرننا الحالي، حيث كان يطلق على قصر شفير البطحا، فيه نخل، ثم انحصر الاسم في بئر ذلك النخل فصارت تعرف بـ (بئر حجر)، ثم ردمت هذه البئر، وبنى وزير المالية في أرضها دكاكين أصبحت تعرف بشارع الوزير، وهو الآن شارع الملك فيصل».

هل كانت الرياض بحراً؟

يقول فؤاد حمزة في كتابه: «قلب جزيرة العرب»: إن البحر الأبيض المتوسط كان يمتد، في الأزمنة الجيوارسية، من شمالي شبه جزيرة سيناء حتى منطقة جبل طويق من العارض، وإن أراضي منطقة الرياض الواطئة كانت تغمرها مياه البحر. وأما هضابها المرتفعة فكانت تؤلف جزيرة في وسط البحر.

وقد سبقه إلى هذا الرأي المستشرق الإنجليزي المسلم: فيلبي.

وأثبتت الدراسات الجيولوجية، والكشوف الأثرية، التي ظهرت حتى الآن أن الجزيرة العربية كانت في الأزمان العريقة في القدم، قطعة من الفردوس منثورة على وجه الأرض، تغمرها الأشجار والأزهار، وتتدفق فيها العيون والأنهار، ويتكاثر فيها الحيوان والطير، ويجد فيها الإنسان رزقه بأهون سبب، بينما كانت أوروبا. في تلك العصور، بلاداً ميتة، ترقد تحت طبقات كثيفة من الجليد الدائم. كالذي يشاهد اليوم في أقاصي القطب الشمالي.

ثم أخذت الطبيعة تتحول، بمشيئة القادر على كل شيء، فأصبحت الجزيرة بلاداً جافة، وغاضت ينابيعها، ولعلها عائدة بإذن الله إلى سيرتها الأولى، قطعة من الفردوس.

تاريخ اليمامة

من الأزمنة الجيوراسية والمستوطنات الثمودية إلى ظهور دولة نبطية ودولة كندة ثم تحريرها بظهور الإسلام

إذا انتقلنا من الأزمنة الجيوراسية إلى العصر الذي ظهرت فيه الرياض على وجه البسيطة وهو زمن موغل في القدم، نجدها موطناً للإنسان في العصر الحجري ثم نجدها منازل لأقوام بادوا.

لماذا بقي تاريخ المنطقة الوسطى مجهولاً؟:

التاريخ القديم لليمن والسواحل الجنوبية من جزيرة العرب كشفت عنه النقوش والآثار القديمة التي درسها وحل ألغازها علماء الآثار والمستشرقون.

أما تاريخ الجزيرة العربية الوسطى، قبل الإسلام، ونجد خاصة، فما زال مجهولاً، لأنها لم تعنِ مثل عناية عرب الجنوب بتخليد وقائعها وأيامها بنقشها على الحجر أو بكتابتها على الرق، هذا إلى غلبة الطين ومشتقاته في أبنيتها وكثرة استعمالها للخيام بدلاً من الدور والقصور، وربما كان عبث السكان بالبقايا الأثرية وكراهيتهم للأجانب الذين يأتون للتنقيب عنها من جملة الأسباب في بقاء تاريخ هذه المنطقة القديم مجهولاً حتى اليوم.

ولكن عناية المملكة، في العهود الحديثة بالآثار تبشر بالوصول إلى كشوف جديدة مفيدة إن شاء الله.

اليمامة والمستوطنات الثمودية:

يقول الدكتور عبدالله حسن مصري، مدير الآثار:

«يستشف من المعالم الأثرية القريبة من موقع الرياض الحالي، خصوصاً (كهف برمة)، على مسافة ٦٦ كم شمال شرقي الرياض، ومن النقوش الثمودية التي

عثر عليها شرقي طريق خريص، أن هذا الموضع كان في الماضي القديم عامراً بالخضرة والمستوطنات الكثيرة، وأن الثموديين كانوا يقطنون المنطقة وما حولها".

.. وما زلنا في الأشواق إلى مزيد من الكشوف لنزداد معرفة بتاريخ الرياض واليمامة العريق في القدم.

من هم خلفاء الثموديين؟ :

.. وبعد الإلمامة القصيرة بالثموديين، نتساءل من هم خلفاؤهم الذين عاشوا بعدهم في اليمامة، قبل الإسلام، وبعده...

الأخبـار الثابتـة:

إن الأخبار الثابتة بالكشوف الأثرية أو الروايات المتواترة، التي يرجح فيها جانب الصحة، تدلنا على الأمور الآتية:

دولـة نبطيـة:

إن الآثار التي اكتشفت بالقرب من حصن النمارة، في الشام، تدلنا على أن ملكاً عربياً، من الأنباط، هو «امرؤ القيس بن عمرو» ـ الذي مات عام ٢٢٣ في السابع من كسلول ـ أي في أوائل القرن الرابع للميلاد ـ ألف دولة كبيرة تضم تحت رايتها عرب الشام ونجد وتمتد إلى حدود اليمن، وقد رضي عنه الفرس وكللوه بالتاج!.

وهذه الدولة نشأت قبل كندة!.

دولـة كِنْـدة:

وبعد هذه الدولة العربية النبطية، قامت الدولة الكِنْدِيَّة في نجد واليمامة، وما وراءهما أحياناً، وكان ولاؤها لحمير، ويبدو أن قبائل ربيعة ومضر، وبخاصة بكر بن وائل لكثرة حروبها وخلافاتها، أرسلت إلى ملك اليمن تطلب منه أن يولي عليها أميراً من قبله، فولى عليها أخاه «حجراً»، الملقب بآكل المرار، وهو أول ملوك كندة.

الفـرس والعـرب:

بعد زوال مملكة كندة، اضطرت القبائل العربية المنتشرة في اليمامة ونجد، إلى موالاة جيرانهم الفرس، وكان بنو حنيفة، من ربيعة، وبنو تميم، من مضر، أقوى العشائر وأكثرها هناك.

وكان ملوك لخم، وخصوصاً النعمان ابن المنذر، واسطة بين عرب نجد واليمامة، وبين ملوك فارس، وكانت عنده كتيبة من رجال بكر بن وائل، وغيرهم من العرب، يقال لها: **الصنائع**.

ولما قتل كسرى، لسبب من الأسباب، النعمان بن المنذر.. طلب حلقة النعمان التي كانت عند بكر بن وائل، فرفضوا تسليمها إليه، فغزاهم بجيش جرار، وكان اللقاء الكبير في «ذي قار».

النبي ﷺ يدعو لربيعة!:

كانت «معركة ذي قار» معركة رهيبة، تخوضها قبيلة عربية، بدوية، ضد دولة الفرس الأكاسرة، التي كانت من دول العالم المعدودة..

روي أن النبي ﷺ، مثلت له وقعة ذي قار، وهو بالمدينة، فقال:

(اليوم انتصفت العرب من العجم)، وفي رواية: (وبي نُصروا)!.

وقيل: إنه ﷺ، رفع يديه إلى السماء، وقال: (ليهنِ بني ربيعة! اللهم انصر بني ربيعة)!.

اليمامة عند ظهور الإسلام:

تذكر لنا كتب التاريخ اسمي زعيمين بارزين من زعماء اليمامة، كانت لهم كلمة مسموعة، وهما:

هوذة بن علي، الذي توجّه كسرى ملكاً.. وكان مقره في الخرج.

وثمامة بن أثال، وكان مقره في بلدة حجر، أي الرياض اليوم.

عرض النبي ﷺ الإسلام على هوذة.. فاشترط.. ورفض الرسول الكريم شروطه فبقي على كفره.

وأما ثمامة بن أثال، فقد أسلم، وبقي على إسلامه، هو وعشيرته.

وهناك رجل آخر، من بني حنيفة، مسلمة بن حبيب، ولقب بمسيلمة الكذاب، ادعى النبوة، وجمع حوله فئة من بني حنيفة..

ومن الخطأ الظن بأن بني حنيفة تابعوا كلهم مسيلمة.. فقد ذكر الطبري: أن العلاء ابن الحضرمي، لما ذهب إلى البحرين، لقتال أهل الردة، انضم إليه ثمامة بن أثال، فيمن معه من مسلمي بني حنيفة، الذين ثبتوا على إسلامهم.

أول والٍ مسلم على اليمامة:

القتال بين جيش خالد بن الوليد وبين رجال مسيلمة الكذاب، في عهد أبي بكر، رضي الله عنه، انتهى، كما هو معروف، إلى هزيمة مسيلمة وقتله في حديقة الموت، بموقع «عقرباء»، وقد صالح خالد أهل اليمامة واشترط عليهم الإسلام فأسلموا، وولى خالد عليهم: سمرة بن عمرو العنبري، وكان ذلك في السنة الثانية عشرة للهجرة.

اليمامة في زمن الأمويين والعباسيين:

كانت اليمامة، في زمن الخلفاء الراشدين الأربعة، مرتبطة بهم، يولون عليها من أرادوا.

ولما جاء الأمويون، فالعباسيون، صاروا يرسلون الولاة إلى اليمامة والبحرين، من قبل أمرائهم في مكة أو المدينة أو العراق، وربما جمعوا اليمامة والبحرين لوالٍ واحد.

اليمامة في ظل الأخيضريين:

وفي أواسط القرن الثالث الهجري، ظهر بنو الأخيضر في الحجاز، وأعلنوا استقلالهم عن الخلافة العباسية.. ثم هرب زعيمهم محمد بن يوسف من الحجاز، وسار إلى اليمامة، فملكها وملكها أولاده من بعده.

ظهور الخضرمة، وكسوف حجر:

استطاعت حجر الحفاظ على شهرتها أو بعض شهرتها حتى استيلاء الأخيضريين على السلطة في اليمامة، وذلك أنهم جعلوا قاعدة ملكهم في اليمامة: «الخضرمة».

حجر عند إنشاء الدرعية:

ولا نعرف على التحقيق متى اختفى اسم اليمامة، واسم قصبتها حجر، ولكننا رأينا ابن بشر يذكرهما عند كلامه عن تأسيس (الدرعية) سنة ٨٥٠ هـ. وهي، البلدة التي أسسها أجداد آل سعود، الذين كان يجمعهم فرع من عشائر ربيعة يعرف باسم «آل درع» أو «الدروع».

الرياض كانت مقراً لآل درع

أجداد الأسرة السعودية

هناك أمر . . لم ينبه عليه أحدٌ من المؤرخين الذين كتبوا عن الرياض . . مع ورود إشارة إليه عابرة في تاريخ ابن بشر؛ وهو أن «الرياض» التي ورثت مدينة «حجر»، أي أنها حجر الجديدة . . أو المتجددة ـ كانت، في فترة من الزمن، ملكاً لآل سعود.

إن آل سعود، فرع من عشيرة (الدروع)، من «ربيعة» وهذا الفرع كان قد هاجر إلى الأحساء، ثم عاد إلى اليمامة، واستقر في مكان أطلق عليه اسم العشيرة: (الدرعية)، مشتقة من آل درع، وكان نزوله في ذلك المكان بدعوة من زعيم من زعماء الدروع، كان رئيساً على حجر اليمامة، كما ورد ذلك في تاريخ ابن بشر.

فإذا اختار الإمام تركي الرياض (أو حجر سابقاً) . . قاعدة لملكه، فإنما يختار بلدة كانت قاعدة لعشيرته الكبرى، التي تفرقت بعد ذلك، وتعددت أسماء أسرها، تنتمي كل أسرة إلى رجل مشهور فيها، سنة الله في خلقه!

ويقول فيلبي: إن المغفور له الملك عبد العزيز، طيب الله ثراه، كان يزور مقبرة الأسرة السعودية في حي البطحاء حيث دفن جده الإمام فيصل وأبوه الإمام عبد الرحمن، وغيرهما، ويدعو لهم، ثم يذكر بأسى أن جده الإمام تركي لم يدفن مع أبنائه وأحفاده.

بين تأسيس الدرعية وظهور الدعوة:

وخلال الفترة التي مرت بين تأسيس الدرعية وظهور الدعوة الإصلاحية . . يبدأ اسم حجر، وحتى اليمامة، بالاختفاء، وتظهر أسماء بلدان مختلفة . . في مكانها أو في أمكنة قريبة.

لا يعرفون السلطان العثماني:

ولما جاءت الدولة العثمانية وتغلغل عسكرها في الحجاز، بقيت نجد واليمامة بعيدتين عن «نفوذ» الترك، ولم يدخلها جنودهم، حتى إن الرحالة التركي المعروف «حاجي خليفة» مؤلف الكتاب المشهور «جهان نامه»، لما زار بلاد اليمامة، تعجب من أمرائها وشيوخها «لأنهم لا يدينون بالولاء للسلطان العثماني، ولا يعرفونه».

نجد واليمامة وأشراف مكة والمدينة:

تفرقت بلاد نجد واليمامة، بعد القرن التاسع، بين عدد كبير من الأمراء والشيوخ.. وكان أمراء مكة أو المدينة يبسطون نفوذهم على مناطق نجد واليمامة، ولا همَّ لهم إلا جباية أموالها..

إمـارات ومشيخـات:

وفي هذه الفترة، تظهر في أماكن مختلفة من الأحساء والبحرين ونجد. إمارات أو مشيخات قوية يمتد نفوذها إلى مناطق مجاورة لها، مدة تقصر أو تطول.. ثم تعود الأمور إلى التفرقة والفوضى وحكم البداوة.. إلا من عصم ربك!.

الدولة السعودية الأولى:

.. ويبقى الأمر كذلك، حتى تظهر دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب. ويقوم الإمام محمد بن سعود أمير بلدة «الدرعية» بنصرتها، ويتحقق على أيديهما تأسيس «الدولة السعودية الأولى»، التي بدأت صغيرة ببلدة صغيرة، ولكنها ما زالت تتسع حتى ضمت في أواخر عهدها ما يعدل تقريباً المملكة العربية السعودية.

.. ثم جاءت جيوش محمد علي وهدمت الدرعية واستولت على الرياض، وقضت على الدولة السعودية الأولى!.

مشهد الرياض الفاتن

أجمل من دمشق ومن إيطاليا

خلبت مناظر مدينة الرياض عقل الرحالة (بلغريف)، فقال: إنها أجمل من غوطة دمشق ومن بساتين إيطاليا، وقدر عدد مساجدها بثلاثين، عدا الجامع الكبير الذي يقوم قريباً من قصر الإمام فيصل بن تركي، ويصل إليه خلال دهليز ممتد من القصر إلى الجامع، فلا يمر خلال الأسواق، التي تقوم في ظلال القصر أو قريبة منه، أما عدد السكان فقدَّرهم بثمانية آلاف.

وهذا بعض ما قاله، في كتابه الذي نشره عن زيارته لمدينة الرياض، في عهد الإمام فيصل بن تركي، سنة (١٨٦٢ م):

«كان ينبسط أمامنا وادٍ فسيح، وفي المنحدر الصخري الذي كنا واقفين على قمته، تقع مدينة الرياض، في رقعة مربعة واسعة تتوجها بروج عالية وأسوار دفاع قوية، وتتعالى بين أشجارها شرفات البيوت، التي يبرعها كلها، بعلوه وضخامته قصر الإمام فيصل بن تركي، وبالقرب منه قصر ابنه البكر (عبد الله) ولم يكن قد سكنه بعد..

وحوالي البلدة، وإلى مسافة ثلاثة أميال في السهل المحيط بها، وبخاصة إلى الغرب والشمال، يتموج بحر من أشجار النخيل، وسط حقول خضر وبساتين حسنة الري، بينما نسمع أصوات (السواقي) التي تخرج المياه من أعماق الأرض، على بعد ربع ميل من أسوار البلد.

ويتفتح الوادي، إلى الجنوب، على سهول اليمامة الخصبة، الملأى بالمزارع والقرى، ومن أبرزها بلدة (منفوحة)، وهي أقل من الرياض سعة، ثم أبعد من ذلك، نلمح تلالاً، وقمم جبال اليمامة، التي كان عمرو بن كلثوم يشبهها بالسيوف المصلتة في معركة!

وأبعد من ذلك أيضاً إلى الغرب، تبدو لنا الدرعية . .

وإلى الجنوب الغربي نرى آكام «الأفلاج»، التي تفصل اليمامة عن وادي الدواسر، ولكنها تتصل من جهة الشرق، بوادي (السلي)، الذي يجري إلى ما وراء سلسلة جبال طويق .

أوسع وأروع :

ولكن وادي الرياض أوسع من غوطة دمشق وأكثر تنوعاً . . ومدى الرؤية هنا يشمل سهولاً أفسح وجبالاً أرهف وأدق مدارج، وهذا المزيج من الخضرة المترفة والجفاف «الاستوائي» . . ومن ازدحام السكان في أمكنة والخلاء الموحش في أمكنة أخرى مجاورة، يعطينا منظراً تنفرد الجزيرة العربية بعطائه، ومتى أردنا المقارنة . بدت لنا دمشق أبهت ألواناً، وإيطاليا أدنى ألحاناً .

أجمل منطقة في الدنيا

بين كل البلدان التي زرتها ـ وهي كثيرة ـ لم أر منظراً يعدل منظر الرياض بالجمال والذكريات التاريخية، فهي ملء العين وملء الفكر!

فإن كان بعض قرائي شاهدوا دمشق، وهم ينحدرون إليها من جبال لبنان، أو (الغوطة) من فوق روابي (المزة)، فإنهم يستطيعون أن يكوّنوا لأنفسهم فكرة مقاربة عن وادي الرياض، كما يشاهد من جهة الغرب[1] .

---

(١) انظر كتابه Personal Narrative of a year's Journey through Central and Eastern Arabia . وقد ترجم إلى الفرنسية، ونشرت مجلة العالمين La Revue des Deux Mondes في عدد كانون الثاني ١٨٦٧ م مقالاً عن ويليام ج . بلغريف، قالت فيه: إنه يهودي الأصل، عمل ضابطاً في جيش الهند، ثم اعتنق الكاثوليكية اليسوعية، وأقام في الشام، وكان هناك يعرف باسم «كوهين» . . وتعلم العربية، وعرف عادات البدو، وقد أرسله أمبراطور فرنسا إلى نجد . وبعد عودته نبذ اليسوعية، وصار بروتستانتيًا، وتقول المجلة المذكورة في عدد مايو:
وبلغريف إنجليزي، وهو أول أجنبي زار الجزيرة العربية من أدناها إلى أقصاها زيارة كاملة .
وأما نيبور فقد اجتازها اجتيازاً، وترجم كتابه عن رحلته إلى الفرنسية فأثار اهتماماً كبيراً، ومن المؤسف أن تعصبه الديني الشديد أعماه عن رؤية حقيقة الإسلام فلم يتحدث عنه بنزاهة وموضوعية .

مزايا اليمامة

ينقل ابن الفقيه عن أهل اليمامة أنهم يقولون:

«غلبنا أهل الأرض شرقها وغربها بخمس خصال:

١ - ليس في الدنيا أحسن ألواناً من نسائنا.

٢ - ولا أطيب طعاماً من حنطتنا.

٣ - ولا أشد حلاوة من تمرنا.

٤ - ولا أطيب مضغة من لحمنا.

٥ - ولا أعذب من مائنا».

فأما قولهم في نسائهم فإنهن دريّات الألوان، كما قال ذو الرمة:

«كأنها فضة قد مسّها ذهب!»

وذلك أحسن الألوان. ويقال لا تبلغ مولدة ألف درهم إلا اليمامية!

وأما حنطتهم فتسمى بيضاء اليمامة، تحمل إلى الخلفاء.

ويقول القزويني: «اليمامة ناحية بين الحجاز واليمن، أحسن بلاد الله، وأكثرها خيراً ونخلاً وشجراً». ويقول الطبري: إن اليمامة من «أخصب البلاد وأعمرها وأكثرها خيراً، فيها صنوف الثمار ومعجبات الحدائق والقصور الشامخة».

أشخاص اشتهروا باسم اليمامة:

زرقاء اليمامة: صاحبة القصة، المشهورة بحدة بصرها.

عرّاف اليمامة: رباح بن كحلة، ومن الشعر الذي قيل فيه:

«جعلت لعرّاف اليمامة حكمه وعرّاف نجد إن هما شفياني»

محكم اليمامة: محكم بن الطفيل بن سبيع، صاحب مسيلمة الكذاب، والقائم بأمره، قُتِل في حروب الرّدة.

منبر حجر وسوقها:

في «بلاد العرب» للأصفهاني:

«حجر سرة اليمامة وهي منزل السلطان والجماعة.

ومنبرها أحد المنابر الأولية: مكة والمدينة واليمن ودمشق واليمامة والبحرين والكوفة.

وجلّ أهلها بنو عبيد، وبها من كل القبائل..».

وفي كتاب «أسواق العرب» للأستاذ الأفغاني:

حجر.. من الأسواق المتوسطة، يقصدها العرب لما يقصدون إليه بقية الأسواق من بيع وشراء وتناشد، ثم صار لها في الإسلام ذكر مكرر في أحاديث الأدباء والأخبار لأنها دار جرير.. وكثيراً ما كان ينزلها أيضاً ذو الرمة.. وكانت في مأمن من السلطان لبعدها، وبقيت سوقها حتى آخر العصر الأموي.

طول الأعمار:

ذكر الجاحظ وغيره أن أهل اليمامة من أطول الناس أعماراً...

جود السهام:

.. والسهام التي كانت تصنع في حجر اليمامة من أجود السهام.

وفي لسان العرب: حدائد حجر، مقدمة في الجودة. قال رؤبة:

«حتى إذا توقّدت من الزرق   حجريةً، كالجمر من سنّ الذلَق»

النصرانية في اليمامة..:

في «المفصل» لجواد علي: «كان معظم أهل اليمامة على النصرانية عند ظهور الإسلام».. وأن النصرانية كانت واسعة الانتشار في ربيعة وتميم وطيء.. وأن المبشرين النصارى كانوا يرتحلون مع القبائل وعرفوا باسم «رهبان الخيام»!.

وأكبر الظن أن الدكتور جواد علي قد بالغ كثيراً.. وربما كان متأثراً بما كتبه لويس شيخو.

اسم الرياض

متى ظهر اسم الرياض علماً على المدينة!

الريـاض فـي اللغـة:

«الرياض» جمع «روضة».

وجاء في «لسان العرب»:

«الروضة: الأرض ذات الخضرة.. والبستان الحسن.. والموضع يجتمع إليه الماء، يكثر نبته.

.. وقيل: الروضة قاع فيه جراثيم ورواب سهلة صغار في سرار الأرض يستنقع فيها الماء، وأصغر الرياض مائة ذراع!

.. قال أبو منصور: رياض الصمّان والحزن في البادية أماكن مطمئنة مستوية تستريض فيها ماء السماء، فتنبت ضروباً من العشب ولا يسرع إليها الهيج والذبول.. فإذا كانت الرياض في أعالي البراق والقفاف فهي «السلقان» واحدها سلق، وإذا كانت في الوطاءات فهي «رياض». ورب روضة فيها حَرَجاتٌ من السدر البرّي..».

الرياض في «معجم البلدان»:

لم يرد اسم «الرياض» في كتب التاريخ والجغرافية القديمة. ولكن «معجم البلدان» لياقوت يذكر لنا أسماء أكثر من مائة روضة، بصيغة المفرد، مضافةً إلى أسماء أو صفات تخصصها وتنقلها إلى العَلَمية..

وسمَّى ياقوت منها، في إقليم اليمامة: «روضة الأشاءة، روضة البلاليق، روضة بلبلول، روضة الجوالقية، روضة السخال، روضة الشقوق، روضة ابن صعفوق، روضة ضاحك، روضة غسل، روضة الفقي، روضة الفورة.. روضة السلي، وروضة القميعة»...

وقد أشار العالم الأديب ابن بليهد في كتابه «صحيح الأخبار» إلى أن روضة القميعة في الرياض، وبقربها روضة السلي، ولكنه لم يذكر لنا صراحةً أن اسم الرياض مأخوذ من اجتماع هذه الروضات فيها.

متى ظهر اسم الرياض؟:

أما العلامة المحقق الأستاذ حمد الجاسر في كتابه: (مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ) فقال ما يأتي:

في القرن الثاني عشر، أطلق اسم الرياض على ما بقي من المحلات القديمة من مدينة حجر: معكال ومقرن والعود وغيرها، وما حولها من الأرض الواسعة التي كانت في القديم بساتين وحدائق، تتخلل مدينة حجر، وتطيف بها، فغمرت ثم صارت مجمعاً للسيول إبان نزول الأمطار، تجود بمختلف النباتات زمن الربيع. ولذا صارت تدعى «الرياض».

.. وقد جرى لهذه المدينة في عهد دهام ابن دواس أحداث عظيمة منها:

١ ـ أنه أدار على تلك المحلات المتناثرة سوراً لا تزال آثاره باقية في بعض جهات المدينة، وبنى القصر الذي أصبح فيما بعد مقراً للإمارة والحكم حتى هدمه ابن رشيد سنة ١٣٠٩ هـ.

وكان بناء الحصون وتشييد القصور والسور حوالي سنة ١١٦٠ هـ، عندما استعرت نار الحرب بينه وبين الدولة السعودية إبان قيامها بنصرة الدعوة الإصلاحية الدينية التي كان دهام من أشد المعارضين لها.

٢ ـ توالت الحروب على هذه المدينة قرابة ٢٨ سنة من عام ١١٥٩ إلى عام ١١٨٧ هـ.

دعاء الشيخ عند فتح الرياض:

فُتحت الرياض سنة ١١٨٧ هـ بعد فرار أميرها دهام بن دواس ورجاله منها مشياً على الأقدام، إلى الدلم، ولما أبلغت بشرى فتحها إلى الإمام محمد بن عبد الوهاب، كتب هذه الرسالة، التي تشبه الدعاء، إلى الإمام عبد العزيز بن محمد، الذي غزا الرياض هو وأبوه من قبله أكثر من ثلاثين غزوة:

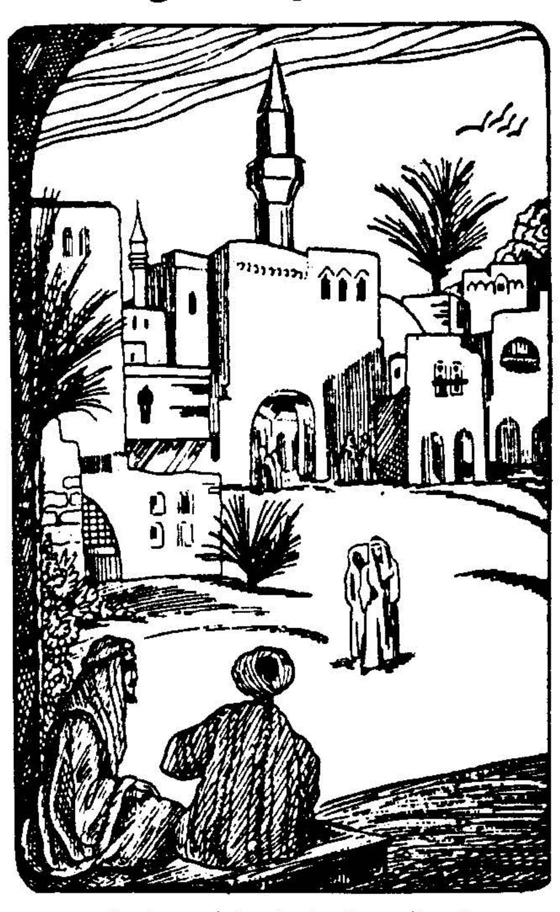
«أحب لك ما أحب لنفسي، وقد أراك الله في عدوك ما لم تؤمِّل.

فالذي أراه لك أن تكثر من قول الحسن البصري . كان إذا ابتدأ حديثه يقول:

«اللهم لك الحمد بما خلقتنا ورزقتنا وهديتنا وفرَّجت عنا ، لك الحمد بالإسلام والقرآن ، ولك الحمد بالأهل والمال والمعافاة ، كبتَ عدونا ، وبسطتَ رزقنا ، وأظهرت أمننا ، وأحسنت معافاتنا ، ومن كل ما سألناك ربنا أعطيتنا ، فلك الحمد على ذلك ، حمداً كثيراً طيباً حتى ترضى ، ولك الحمد إذا رضيت» .

الرياض إمارة ملحقة بالدرعية:

كانت الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى ، فلما فتحت الرياض ، أصبحت إمارة تابعة لها .



مدخل «الدرعية» كما تخيله رسام فرنسي .

الرياض في وثيقة فرنسية قديمة:

جاء في (نشرة الجمعية الجغرافية)، التي تصدر عن وزارة الخارجية الفرنسية . بتاريخ (١٨٧٥ م) هذه الكلمات عن مدينة الرياض:

الرياض ـ جمع روضة ـ والترك يلفظونها: (رياظ) .

الرياض ـ عاصمة مملكة نجد ، في الواحة التي تحمل نفس الاسم ، تمتد على

الضفة الشمالية بوادي حنيفة باتجاه الشمال، وتؤلف واحة طولها خمسة كيلومترات وعرضها كيلومتر ونصف تقريباً، وهي محوطة بالنخيل الكثيف ما خلا القسم الشمالي الشرقي، ويحيط بها سور غليظ بارتفاع ٧ أمتار ونصف مصنوع من الطين المجفف في الشمس ولها بروج على ارتفاع ٩ إلى ١٢ متراً، وبعضها مربع، وقد أعيد بناؤه بعد أن هدمه ابن رشيد باستثناء جزأين في الغرب والجنوب.

من أبوابها: باب الثميري، دخنة، البديعة، الشميسي، الجهيري.

السوق مقسم إلى قسمين: واحد للأثاث.. والآخر حوانيت.

استهوت الرياض الإمام تركي فاختارها عاصمة له، وكان يحيط بها ثلاثون ألف شجرة من النخيل، وهي تستند إلى سفح (العارض) وتعتبر مفتاح العربية الوسطى لأن الطرق كلها تمر منها، وفيها ستة آلاف دار، أي نحو (٣٥) ألف ساكن.

وأهلها كلهم، تقريباً، من المحاربين الذين يسمون «الفداوية».

البيوت مبنية من الطين، فوق أسس من حجارة العارض، والطرقات ضيقة، وفيها آبار كثيرة تستخرج مياهها بدلاء من الجلد، تدور بها الجمال.. وفي جوارها بعض الينابيع التي تمد الأهالي بالمياه الصالحة للشرب، ولكن المياه ليست غزيرة بحيث تكفي لزراعة الأرز الذي يحبونه كثيراً، وهو يأتيهم من الهند.

الرياض في عهد الإمام تركي:

محرر نجد وموحدها
ومؤسس الدولة السعودية الثانية

انتهت الدولة السعودية الأولى سنة ١٢٣٣ هـ - ١٨١٨ م بسقوط عاصمتها الدرعية واستسلام الإمام عبد الله بن سعود لقائد الحملة التركية المصرية (إبراهيم باشا) نجل خديوي مصر محمد علي باشا، ثم قتل الإمام.

لقد غادر إبراهيم باشا البلاد النجدية وهي في نهاية الضعف والفوضى والضياع.. وأعلن في مجلسه بزهو وكبرياء: أن الدولة السعودية انتهت ولن تُذكر، وراية التوحيد طُويت ولن تنشر!

ولكن الله سبحانه كذَّب أماني إبراهيم باشا ووعيده المشؤوم، وظهر البطل الشجاع الإمام تركي بن عبد الله، ومعه عصبة من شجعان نجد، وحارب العساكر الغازية، وهزمهم وطردهم، وحرَّر البلاد منهم، وأعاد إلى نجد وحدتها، وإلى كلمة التوحيد رايتها، وإلى الجماهير عزتها وكرامتها، وبذلك كان مؤسس الدولة السعودية الثانية، وباني أمجادها.

.. مَن الذي اتخذ الرياض قاعدة لملك واسع، وأعدَّها لهذا المجد الذي يتعاظم يوماً بعد يوم؟

إن الإمام تركي، جد الأسرة السعودية المالكة، هو الذي اختار الرياض، من بين البلدان، قاعدة لملكه، وكان موفقاً كل التوفيق في اختياره!

قد يقال: إنه اضطر إلى ذلك اضطراراً، لأن جنود محمد علي دمروا (الدرعية) عاصمة الدولة السعودية الأولى، تدميراً كاملاً، وكانت الرياض يومئذ أعمر مدن العارض وأقربها إلى الدرعية المتهدمة، فكان انتقاله إليها أمراً تفرضه طبيعة الأشياء!.

نص كلام بلغريف بالإنكليزية

Before us stretehed a wild open valley and in its foreground, immediately below the pebbly slope on whose summit we stood, lay the capital, large and square, erowned by high towers and strong walls of defence, a mass of roofs and terraces, where overtopping all frowned the huge but irregular pile of Feysul's royal castle, and hard by it rose the scarce less conspicuous palace, built and inhabited by his eldest son, 'Abd-Aalllah. Other edifices too of remarkable appearance broke here and there through the maze of grey roof-tops, but their object and indwellers were yet to learn. All around for full three miles over the surrounding plain, but more especially to the west and south, waved a sea of palm-trees above green fields and well-watered gardens; while the singing droning sound of the water-wheels reached us even where we had halted, at a quarter of a mile or more from the nearest town walls. On the opposite side southwards, the valley opened out into the great and even more fertile plains of Yemamah, thickly dotted with groves and villages, among which the large town of Manfoohah, hardly inferior in size to Riad itself, might be clearly distinguished. Farther in the background ranged the blue hills, the ragged sierra of Yemamah, compared some thirteen hundred years since by Amroo-ebn-Kelthoom the Shomerite, to drawn swords in battle array; and behind them was concealed the immeasurable Desert of the South, or Dahna. On the west the valley closes in and narrows in its upward windings towards Derey'eeyah, while to the south-west the low mounds of Aflaj are the division between it and Wadi Dowasir. But eastward it communicates through undulating and broken ground with the long valley of Soley..

In all the countries which I have visisted, and they are many, seldom has it been mine to survey a landscape equal to this in beauty and in historieal meaning, rich and full alike to eye and mind. But

should any of my readers have ever approached Damascus from the side of the Anti-Lebanon, and surveyed the Ghootah from the heights above Mazzeh, they may thence form an approximate idea of the valley of Riad when viewed from the north. Only this is wider and more varied, and the circle of vision here embraces vaster plains and bolder mountains' while the mixture of tropical aridity and luxuriant verdure, of crowded population and desert tracts, is one that Arabia alone can present, and in comparison with Syria seems tame, and Italy monotonous.

